﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢﴾ [يونس: 92]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لمّا أنكر النَّظمُ الجليلُ على فرعونَ الإيمانَ وقتَ الإغراق، وقد كان حالُه طولَ حياتِه عاصيًا من زمرة المفسدين، أتْبعه بالتَّهكُّم به بإخبارِه أنَّه سينجو بدنًا بلا روحٍ.

كما استوجبَ من قبلُ الإنكارَ، استحقَّ التَّهكُّمَ والاستهزاء بالإخبار

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِبَدَنِكَ﴾: أصْلُ البَدَنِ هوَ شَخْصُ الشَّيءِ دونَ شَواهُ، وشَواهُ أطرافُهُ، يُقالُ: هذا بَدَنُ الإنسانِ، والجَمْعُ الأبْدانُ[1]، وبَدُنَ الرَّجلُ: صار بَدينًا؛ فهو مُبدِنٌ، ورَجُلٌ بادِنٌ ومُبَدَّنٌ وامرأةٌ مُبَدَّنةٌ، أي: سَمينانِ جسيمانِ[2]، والبَدَنُ شِبْهُ دِرْعٍ إلّا أنَّه قصير قَدر ما يكون على الجَسَد فَقَط، قَصير الكُمَّيْن[3]. وبَدَنُ الإنسان: جسَدُه، وقولُه تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ قالوا: بجَسَدٍ لا روحَ فيه، قال الأخفشُ: "وأمّا قول من قال: (بدرعك)؛ فليس بشيءٍ ولا له معنًى"[4].

2) ﴿خَلۡفَكَ﴾: أصلُ (خَلَفَ) مِنَ الإخْلافِ، هو مجيءُ شَيْءٍ بَعْدَ شَيْءٍ يَقومُ مَقامَهُ[5]، فالخَلَفُ: المُتأخِّرُ، سواء كان تَأخُّرُه في الزَّمَنِ، أو في الرُّتبَةِ، يُقال: فُلانٌ خَلَفٌ لأبيهِ، أيْ: جاءَ بَعْدَهُ، ويقولون: هو خَلَفُ صِدْقٍ مِن أبيهِ، وخَلَفُ سَوْءٍ مِن أبيهِ، فإذا لم يذكُروا صِدْقًا،

(1) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللُّغة، والأزهريّ، تهذيب اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بدن).
(2) الخليل، العين: (بدن).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (بدن).
(4) الأخفش، معاني القرآن: 1/378، والمجاشعيّ، النكت في القرآن: ص: 245، وابن منظور، لسان العرب: (بدن).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خلف).

ولا سَوْءًا؛ قالوا لِلْجَيِّدِ: خَلَفٌ، ولِلرَّديِّ خَلْفٌ - بإسكان اللّام - [1] وضِدُّ الخَلَفِ: السَّلَفُ، وهو: كُلُّ مَن سَبَقَكَ، والخَلَفُ أيضًا: ما اسْتَخْلَفْتَهُ مِن شَيْءٍ، وجمعُه: أخْلافٌ[2]. والمقصود بـ قوله: ﴿لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ في الآيةِ: لمَن بعدَك[3].

3) ﴿ءَايَةً﴾: أصلُ الآيةِ العلامةُ الثابتةُ من قولك: تأيَّيْتُ بالمكان؛ إذا أقمتُ به، وثبتُّ فيه: ومن ثَمَّ يُقال: لأجعلنَّك آيةً، أي: علامةً، مُشتقَّة مِن التَّأيّي الَّذي هو التَّثبُّتُ والإقامةُ على الشَّيء[4]، تَقولُ: خَرِبَتْ دارُ فُلانٍ، وما بَقيَ فيها آيَةٌ، أيْ: عَلامَةٌ، ومِنْهُ سُمّيَت الآيَةُ مِن القُرْآنِ بذلك؛ لأنَّها عَلامَةٌ لانْقِطاعِ الكَلامِ الذي قَبْلَها والذي بَعْدَها، وتُطلَقُ على المَصْنوعِ المُعْجِبِ؛ لأنَّهُ يكونُ علامةً على إتقانِ صانِعِهِ أو عَظَمَةِ صاحِبِهِ[5]، وكذلك تُطلَقُ على الحُجَّةِ المثبَتَةِ؛ لأنَّها علامَةٌ على ثُبوتِ الحَقِّ، وتُطلَقُ أيضًا على العِبْرَةِ، وهي أمرٌ وقع، ومضى، لكن بقيَ ما يُتَّعَظُ به منه، ويُتَّخذ مثلًا[6]، وهو المُرادُ هنا. والجَمْعُ: آياتٌ، وآيٌ، وآيايٌ[7].

4) ﴿ءَايَتِنَا﴾: أصلُ الآيةِ العلامةُ الثّابتةُ الدّالَّةُ على أمْرٍ مِنْ شَأْنِهِ أنْ يَخْفى، وهي في القرآن على وجهين: الأوَّل: العِبرةُ، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: 50]، أي: عِبرةً يُعْتَبَرُ بها. الثّاني: العلامةُ، قال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: 22]، أي: ومن العلاماتِ على ربوبيَّته، والوجهانِ مُتقاربانِ يصلُح استعمالُ أحدِهما في موضع الآخرِ[8]. الآياتُ جَمْعُ آيَةٍ، وآياتُ اللّه: عَجائِبُه[9]، والمقصودُ بـ ﴿ءَايَتِنَا﴾ في الآية: العلاماتُ الدّالة على قُدْرَة اللّه في خَلْقِهِ، وغيرِها مِن صِفاتِ العليِّ القدير.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الخطابُ هنا لفرعونَ، وهو يُعالجُ سكراتِ الموت، أو وهو ميتٌ، قال اللّه تعالى له: فاليومَ

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خلف).
(2) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (خلف).
(3) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 199.
(4) الخليل، العين، والرّاغب، المفردات: (أى).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أيّى).
(6) الزبيديّ، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (إيي - إي).
(7) الخليل، العين، وابن عباد، المحيط في اللُّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (أيا).
(8) العسكريّ، الوجوه والنّظائر، ص: 92.
(9) الزّبيديّ، تاج العروس: (إيي).

نجعَلُ جَسَدَك وما تقلَّدْتَه مِن دروعِ الحربِ بعدَ غَرَقِك على مكانٍ مرتفعٍ مِن الأرضِ، فيَتبيَّن للنّاسِ هلاكُك، ولِتَكونَ - يا فرعونُ - لِمَن بَعدَك من النّاسِ عِبرةً بعد إيقانِهم بهلاكِك وقدرةِ اللّه على كلِّ ذلك، فيَنزَجِروا عن الكُفرِ باللّه ومَعصيتِه، ويَرَوا عاقِبةَ الطُّغيانِ، ويخافوا غضَبَ اللّه، وإنَّ كثيرًا مِن النّاسِ مُعرِضونَ عن تأمُّلِ آياتِنا، وعن التفكُّرِ فيها، والاعتبارِ بها، وفي نجاة فرعونَ ببدنِه، وإلقاءِ البحر له جثَّةً هامدة متعفِّنة على الشّاطئ، عِبرةٌ لمعتبِر؛ فهذا الإنسانُ الَّذي كان يملأُ الأرض بغيًا وعدوانًا، ويقول في النّاس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: 38]، ويقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: 24]. هذا الإنسانُ قد صار في لحظاتٍ جثَّةً هامدة، وكومًا مِن لحمٍ باردٍ، فأين مُلكُه؟ وأين سُلطانُه؟ وأين بطشُه وجبروتُه؟ لقد ذهب كلُّ ذلك عنه، وتعرَّى مِن كلِّ شيءٍ كان بين يديه[1].

سـوءُ عـاقـبـةِ فـرعـونَ عِـبرةٌ للأحياء

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الفاءِ في قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ في السّياق:

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾، افتتحَ بالفاء الواقعةِ في جواب شرطٍ محذوفٍ، فتكونُ رابطةً، وكذلك هي مُفْصِحَةٌ عن المحذوفِ، فهي "تُفْصح عن شرطٍ مقدَّرٍ في الكلام يدلُّ عليه السياقُ. والمعنى: فإن رُمْتَ بإيمانك بعد فواتِ وقتِه أن أنجّيك من الغرق، فاليومَ ننجّيك ببدنِك"[2].

نـجـاة الـبـدن لا تـعـني نجاة الرّوح

دلالةُ إيثارِ الظَّرفِ ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ دون غيره:

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ عبَّر باليوم دون غيرِه "للإشارةِ إلى أنَّه ينجو ببدنِه في ذلك

استغرق الإنجاءُ يومًا للبدنِ على وفقِ السُّنَن

(1) ابن جرير، جامع البيان: 12/283، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 8/381، والسّعديّ، تيسير الكريم المنّان، ص: 372، وعبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 6/1073.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/278، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 9/556.

اليوم"[1]، فـ" اليومُ: ظرفٌ للتنجية"[2]، فكان الإنجاءُ مستغرِقًا اليومَ؛ لأنَّه لم ينقذْه من فوْره لتطاول الحدثِ واحتياجِه استواءَ الماءِ، وقذْفَ الموجِ لبدنه على السّاحل، وهذا يتطلَّبُ وقتًا لا يُمكنُ أن يقعَ بوقتٍ وجيزٍ، ولا يخْفى أنَّ الله تعالى قادرٌ على إنجائه من فوره، ولكنَّه أنجاه بالبدن على وفقِ السُّنَنِ.

بلاغةُ الاستعارةِ في لفظ الإنجاء في السّياق:

الإنـجـاءُ مع البـقـاء ميِّتًـا، دليلٌ على قدرة الله القاهرة لكلّ جبّار

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ﴾ جاء الإنجاءُ بمعنى الإخراجِ، فهو لم ينجُ حقيقةً، "أي: نخرجُك ممّا وقع فيه قومُك من قَعر البحرِ، ونجعلُك طافيًا، وفي التَّعبير عنه بالتَّنجيَةِ تلويحٌ بأنَّ مرادَه بالإيمان هو النَّجاةُ كما مرَّ، وتهكُّمٌ به أو نلقيك على نجْوةٍ من الأرضِ ليراك بنو إسرائيلَ"[3]. فالنَّصُّ في إظهار خيبتِه وحسمِ أطماعِه، أي: نخرجُك، ونجعلُك ببدنِك عاريًا عن الرّوح، ولكنَّه عبَّرَ عن ذلك بالتَّنْجيَة مجازًا[4]. أو يكونُ المعنى على الحقيقةِ، أي: "نُلقيك بنجْوةٍ من الأرض، وهي المكانُ المرتفعُ"[5]، ليراه مَن خلفَه من بني إسرائيل وغيرهم ليكونَ آية.

التَّعبيرُ عن الإنجاءِ بالمضارع ﴿نُنَجِّيكَ﴾:

تصويرُ الإنجاءِ بالفعل المضارع من بليغ السّياق

في قولِه عزَّ ذكرُه: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ عن الإنجاء بالفعل المضارعِ تصويرًا لمشهد الإنجاءِ، واستجلابًا للحالة والصّورةِ، كما أنَّ التَّنجيةَ لا تقعُ دفعةً واحدةً، بل تتطلَّب معالجةً وأعمالًا.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3628.
(2) المنتجب الهمذانيّ، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: 3/424.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/174.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/172.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/103.

سرُّ تشديدِ فعلِ الإنجاءِ ﴿نُنَجِّيكَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾، جاء التَّعبيرُ عن الإنجاءِ بالفعل المضعَّفِ الدّالِّ على التَّكثيرِ للمبالغةِ في التَّنجية والتَّأكيدِ عليها، ولأنَّها تحوجُ أن تكونَ كذلك لكونِ النَّجاةِ كائنةً من حدثٍ عظيمٍ، فكان لا بدَّ من تكثيرِ التَّنجيةِ، وفي ذلك إيغالٌ في التَّهكُّم.

مبالغةٌ في التَّنجية التَّهكميَّةِ، هي أبلغُ في التَّهكُّم بما آل إليه

التَّعبيرُ عن الإنجاءِ بصيغة العظمةِ ﴿نُنَجِّيكَ﴾:

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ﴾ آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بصيغةِ التَّعظيمِ في التَّنجية، أي: تنْجيةٍ عظيمةٍ[1]؛ مناسبةٍ لهولِ الموقفِ وشدَّةِ الغرقِ التي تقتضي أن يكونَ الإنجاءُ مبالغًا فيه، فكان الإنجاءُ من الله تعالى بالعظمةِ على حسَبِ مقتضى الحالِ. "وأضاف الإنجاءَ إليّه سبحانَه، وجعله واقعًا على فرعونَ باعتبار أنَّه صاحبُ البدنِ؛ ولذا قال تعالى: ﴿بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ﴾، أيْ: دلالة على عظيمِ قدرةِ الله تعالى التي قهرَ بها طاغوتَ عصرِه"[2].

لا يُنجي من المهالك العظام إلّا ربٌّ عظيم القدرة والمقام

وجهُ مخاطبةِ فرعونَ بضمير الخطاب المفرد:

في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ﴾، جاء التَّعبيرُ عن فرعونَ بضمير المخاطَبِ دونَ ذكرِه باسمِه الصَّريحِ المُقْتضي للغَيبةِ، للدَّلالةِ على أنَّ مآلَ الطُّغاةِ هو الفناءُ وللاعتبار بذلك[3]. كما أنَّ خطابَ فرعونَ بالضَّمير فيه مبالغةٌ في إيقاع التَّهكُّم، فيكون الخطابُ موجَّهًا لمَن أوشك على الغرق، فيخبرُه بالخطاب بأنَّك ستنجو ببَدَنِك فحسبُ، فهو أوقعُ في الإغاظة والتَّخييبِ.

مواجهةُ المخاطَبِ بالتَّهكُّم أبلغُ في الإغاظة، وأنكى في العقاب

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/185.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3628.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3628.

معنى الباء في شبه الجملة: ﴿بِبَدَنِكَ﴾:

تعلُّقُ الإنجاءِ بالبدنِ لا بالرّوح معجزة خالدة

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أدخلَ الباءَ على البدن للدَّلالة على أنَّ الإنجاءَ مُلابسٌ للبدن ولا أكثر من ذلك، "أي: ننجّيك ملابِسًا ببدنِك فقط، لا مع روحِك كما هو مطلوبُك؛ فهو تخييبٌ له، وحسمٌ لأطماعه بالمَرَّة"[1]. وتحتملُ أنَّها للمصاحَبة، والتَّقديرُ: سنُنَجّيكَ مصاحبًا بدنَك، وذلك يتناسبُ مع رأْيِ من قال: إنَّ معنى البدنِ هو الدِّرعُ[2]، "وفي التفسير: لم يُصَدِّقوا بغرقه، وكانت له دِرْعٌ تُعْرَفُ، فأُلقي بنَجْوةٍ من الأرض، وعليه دِرْعُه؛ ليعرفوه، والعربُ تُطلِقُ البدنَ على الدِّرع"[3].

فنُّ الاحتراسِ في اصطفاء البدن للإيهام بالإيناس:

كانت النَّجاةُ للبدن الخالي من الرّوح قطعًا لمسرَّته

في قوله عزَّ ذكرُه: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالبدن دونَ (الجسم)؛ لأنَّ الإخبارَ بالتَّنجية خَبرٌ سارٌّ أتْبع بما يدفعُ هذه المسرَّةَ، فقال: ﴿بِبَدَنِكَ﴾؛ ليدلَّ على أنَّ ذلك بعد نزعِ روحِه، فهو بدنٌ كاملٌ لا روحَ فيه، حتّى لا يقع لبْسٌ في معرفتِه[4]، فالبدنُ "الجسمُ بدون روحٍ، وهذا احتراسٌ من أن يُظنَّ المرادُ الإنجاءَ من الغرقِ، والمعنى: ننجّيك، وأنت جسمٌ، كما يقال: دخلتُ عليه، فإذا هو جثَّةٌ؛ لأنَّه لو لم يكنِ المقصودُ الاقتصارَ على تلك الحالةِ؛ لَما كان داعٍ للبليغ أن يزيدَ ذلك القيدَ؛ فإنَّ كلَّ زيادةٍ في كلام البليغِ يُقصدُ منها معنًى زائدٌ، وإلّا لكانتْ حشوًا في الكلام، والكلامُ البليغُ موزونٌ، ولغةُ العرب مبنيَّةٌ على أساس الإيجازِ"[5]. ويحتملُ قولُه: ﴿بِبَدَنِكَ﴾ معنى: بصورتِك التي تُعرف بها، وكان قصيرًا

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/174.
(2) الأخفش، معاني القرآن: 1/378، والجاشعيّ، النّكت في القرآن: ص: 245، وابن منظور، لسان العرب: (بدن).
(3) السّمين الحلبي، الدّرّ المصون: 6/264 - 265.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/186.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/278 - 279.

أشقرَ أزرقَ قريبَ اللِّحية من القامة، ولم يكنْ في بني إسرائيل شبيهٌ له يعرفونَه بصورته، و﴿بِبَدَنِكَ﴾ إذا عَنَى به الجثَّةَ؛ فهو تأكيدٌ، كما تقول: قال فلانٌ بلسانه، وجاء بنفسه[1].

دلالةُ اللّامِ في لفظ: ﴿لِتَكُونَ﴾ من السّياق:

إنـجـاءُ بـدنِ الطّاغيةِ الجبّار، غـايتُـه العـظةُ والاعتبار

في قوله عزَّ ذكرُه: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾، أدخل النَّظمُ الجليل لامَ التَّعليل على فعلِ الكونِ للدَّلالة على أنَّ المرادَ من ذلك الإنجاءِ أن يتحوَّلَ إلى وجودٍ جديدٍ وهو أنْ يكون آيةً، فَعِلَّةُ الإنجاءِ كما كانت تهكُّمًا به؛ كانت كذلك غايةً للاعتبار، فهو قد مات "ميتةً لا يستطيعون معها الدَّجلَ بأنَّه رُفع إلى السَّماء، أو أنَّه لم يزلْ يتابع بني إسرائيل، أو نحو ذلك من التَّكاذيب؛ لأنَّهم كانوا يزعمون أنَّ فرعونَ لا يُغلب، وأنَّ الفراعنةَ حين يموتون إنَّما يُنقلون إلى دار الخلودِ، ولذلك كانوا يُموِّهون على النّاس، فيبْنون له البيوتَ في الأهرام، ويُودِعون بها لباسَه وطعامَه ورياشَه وأنفَسَ الأشياء عنده، فموتُه بالغرق وهو يتَّبع أعداءه ميتةٌ لا تؤوَّلُ بشيءٍ من ذلك، فلذلك جعلَ كونَه آيةً لمَن خلفَه علَّةً لإخراجِه من غَمْرَةِ الماءِ ميّتًا كاملًا، فهم مضطرّون إلى الاعتراف بأنَّه غرِق إذا نظروا في تلك الآيةِ"[2].

التَّعبيرُ بفعل الكونِ مضارعًا في: ﴿لِتَكُونَ﴾:

تجدُّدُ كونِه آيةً في كلِّ زمان

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ عبَّر النَّظمُ الكريم بالفعل المضارعِ عن كونِه آيةً للدَّلالة على دوامِ هذه الآيةِ، "أي: كونًا هوفي غاية الثَّبات"[3]، فكونُه آيةً لمَن خلفَه مستمرَّةٌ لا تختصُّ بالجيل الذي جاء بعدَه، بلْ هي باقيةٌ دائمةٌ.

معنى اللّام في عبارة: ﴿لِمَنْ خَلْفَكَ﴾:

استـقـرَّتِ الآيـةُ عندَهم، لتبقى شـاهـدةً لمن يخلفون

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ تعلَّقتِ اللّامُ"بمحذوفٍ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/103.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/279.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/186.

وقعَ حالًا من آيةٍ، أي: كائنةً لمن خلفَك"[1]، فهي بِمعنى التَّمليكِ والاختصاص، أيْ: إنَّ هذه الآية في حوزتهم.

إيثارُ الموصولِ (مَنْ) في السّياق المدرج:

إنْـجـاءُ فـرعـونَ بـبـدنـه آيــةٌ، سـارت بـذكـرِها الـرُّكـبـانُ في كـلّ عصرٍ وأوانٍ

في قوله عزَّ ذكرُه: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالموصول (مَن) الدّالِّ على العموم بمعنى "تكونُ لِمَن يأتي بعدَك من الأمم إذا سمعوا مآلَ أمرِك مِمَّن شاهدَك عِبرةً ونَكالًا من الطُّغيان"[2]، فالتَّعبيرُ بالموصول الدّالِّ على العموم يفيدُ أنَّ تلك الآيةَ كائنةٌ لعموم مَن يأتي بعدَه، لا تختصُّ بجيلٍ ولا بفئةٍ، فهي آيةٌ سائرةٌ تجري بذكرها الأسفارُ.

إيثارُ الظَّرف (خلْف) دونَ (بعدَ)، أو (وراءَ):

الـخـلْـفُ يشملُ الحكّامَ والعوامَّ على حدٍّ سواء

في قوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالظَّرف (خَلْفَ) دونَ غيره لاحتمالِ دلالته على مَن يخلُفه في الحكم، أو مَن يتأخَّرُ عنه من عموم النّاس، فهو يدلُّ على مَن يأتي بعدَه في مقامه ومكانته في حكم البلادِ، ومَن يخلُفه من الفراعنة والكهنةِ والوزراءِ[3]، كما يحتمل أنْ يُرادَ به مَن يتأخَّرُ عنه في الحياة مِن عموم النّاس[4].

بلاغةُ المجازِ في لفظ ﴿خَلْفَكَ﴾ في السّياق:

لمّـا نـجـا بـنـو إسـرائـيـل كـانـوا خـلـفـاءَ فـرعـونَ، وإنْ كـانـوا أمـامَـه

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ إذا كان المرادُ بمَن خلفَه بنو إسرائيل، فيكون الخلفُ مجازًا في القدّام، فيُحملُ "الخلفُ على الجهة المكانيَّة أوَّلًا بكونه موضوعًا لها، ولا صارفَ له عنها في الظّاهر؛ إذ بنو إسرائيل وإنْ كانوا قدّامَهم باعتبارٍ، لكنَّهم خلفَهم باعتبارٍ آخرَ؛ فيكونُ خلفُك في النَّظم الجليلِ مجازًا للقدّام"[5].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/174.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/174.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/279.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/186.
(5) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 9/558.

نكتةُ الإخبارِ عن المسند الذّاتِ بالمعنى:

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ﴾ أخبر النَّظمُ الكريم باسم المعنى عن شخصِ فرعونَ "أي: لتكونَ ذاتُه آيةً على أنَّ اللّه غالب مَن أشركوا به، وأنَّ اللّه أعظمُ وأقهرُ من فرعونَ وآلهتِه"[1]، وفي ذلك مبالغةٌ في كونِه نال من الجزاء ما أفصحَ عن جلال اللّه تعالى وعظمتِه، فجعلَ فرعونَ ذاتَه آيةً ومَعْلَمًا يُبيّنُ للنّاس عاقبةَ الطُّغيان والاستكبارِ.

تحوُّلُ الذّاتِ إلى آيةِ تصويرِ دقَّةِ الإنجاءِ بالبَدنِ الكاملِ

تقديمُ الجارِّ والمجرورِ والظَّرفِ على ﴿ءَايَةٗ﴾:

في قوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ﴾ قدَّم النَّظمُ الجليل شبهَ الجملةِ من الجارِّ والمجرور على خبرِ كان، فلم يقلْ: (لتكونَ آيةً لمَن خلفَك)؛ لِما في التَّقديم من الاهتمام، فليس المرادُ أنْ يكونَ آيةً على وجه الإطلاق، بلْ هو مقيَّدٌ بكونه آيةً كائنةً للمذكورين، فأظهرَ أنَّ المقصودَ من تلك الآيةِ هو مَن يخلُفه، فقدَّم ذكرَهم إظهارًا لعلَّةِ الفعلِ على وجه الاهتمامِ.

سَـوْقُ العِـبرةِ للنّاس أهمُّ من العِبرةِ ذاتِها

سرُّ تنكيرِ ﴿ءَايَةٗ﴾ في سياق الآية:

في قوله عزَّ ذكرُه: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ﴾ آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ عن الآية بلفظِ التَّنكيرِ تعظيمًا للآية وتفخيمًا لشأنها؛ وذلك أنَّ فرعون ذاتَه هنا تحوَّل إلى آيةٍ، فهي آيةٌ غريبةٌ عظيمةٌ.

أنْ يجعـلَ الشَّـخـصَ ذاتَـه آيـةً، دليـلُ العظمةِ والإعجاز

معنى الواو في مطلع الجملة المصدَّرة بالأداة (إنّ):

افتتح النَّظمُ العزيز قولَه جلَّ شأنُه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ بالواوِ الدّالَّةِ على الحال أو الاعتراض[2]، فالحالُ بتقديرِ: أنجيْنا فرعونَ ليكون آيةً للنّاس، والحالُ أنَّ أكثرَهم غافلون

لا تـنـفـعُ كـثرةُ الآياتِ مع قسوةِ القلوبِ وإنكارها للمعجزات

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/279.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/279، والإيجيّ، جامع البيان: 2/154.

عن الآياتِ، أيّ: في هذه الحالةِ، فلا يعترضُ طاعنٌ بأنَّ الكفرَ قد استمرَّ بعد فرعونَ ودامَ، وأمّا الاعتراضُ؛ فهو اعتراضٌ تذييليٌّ ذيَّلَ به الموعظةَ لبيان أنَّ الموعظةَ قليلٌ مَن ينتفعُ بها.

نكتةُ التَّوكيد بإنَّ والجملةِ الاسميَّة واللّامِ:

تكذيبُ الآياتِ الكثيرةِ، مثارُ تعجُّبٍ وإنكارٍ

في قوله عزَّ ذكرُهُ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ جاء الخبُر في الآية مؤكَّدًا بكونِه جملةً اسميَّةً وبـ (إنَّ) وباللّام المزحلقةِ تقويةً لمضمونِ الجملةِ؛ "لأنَّ مثلَه ينبغي - لبعدِه عن الصّواب - ألّا يصدِّقَ أنَّ أحدًا يقع فيه"[1]، فالغفلةُ عن الآيات الكثيرةِ ممّا يُنْكره العقلُ، وهو مثارُ التَّعجُّبِ، والمرادُ من ذلك التَّأكيدِ "دفْعُ توهُّمِ النَّقصِ عن آيات الله عندما يُحْرَمُ كثيرٌ من النّاس الاهتداءَ بها، فهي في ذاتِها دلائلُ هدًى، سواءٌ انتفع بها بعض النّاس أمْ لمْ ينتفعوا؛ فالتَّقصيرُ منهم"[2].

وجهُ تنكيرِ لفظ: ﴿كَثِيرًا﴾ في السّياق:

تأكيدُ التَّكثيرِ باللَّفظِ والتَّنكيرِ من فصيحِ التَّعبير

في قوله عزَّ ذكرُه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ آثر النَّظمُ الكريم المجيءَ بصيغة التَّنكيرِ لبيان كثرةِ الغافلين، وفي ذلك تأكيدٌ على التَّكثير؛ إذ أفاد التَّنكيرُ التَّكثيرَ، فضلًا عن التَّكثيرِ المدلولِ عليه باللَّفظ بدلالتِه المعجميَّة.

دلالةُ (مِن) في شبه الجملة ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾:

الكثرةُ كائنةٌ من جنسِ النّاس، والغفلة فيهم غالبة

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، عبَّر النَّظمُ الكريم بـ (مِن) البيانيَّة، للدَّلالةِ على جنْس الكثرةِ، فإنَّ الكثيرَ واقعٌ من النّاس، وليستْ هي للتَّبعيض؛ إذ ليس الكثيرُ من بعض النّاسِ، فهو منتقضٌ بأنَّ الكثيرَ هو أغلبُ النّاسِ لا بعضُهم.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/187.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/280.

نكتةُ جمعِ الآياتِ في: ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾:

رسـوخُ الغفلةِ لا يـزولُ بكثرة الآياتِ وتعدُّدِها

في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾، جمع النَّظمُ الكريم لفظَ الآياتِ للدَّلالة على أنَّ الآياتِ المغفولَ عنها كثيرةٌ، وفي ذلك إشارةٌ إلى شدَّة غفلةِ النّاسِ وتوغُّلِهم في التَّمادي بالإعراضِ عن واضحِ الآياتِ الكثيرةِ.

وجْهُ نسبةِ الآياتِ إلى ضميرِ التَّعظيمِ ﴿ءَايَٰتِنَا﴾:

الـغـفـلـة عـن الآيـاتِ الَّتي هي غايةُ البيانِ من طبيعة الإنسان

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾، عرَّف النَّظمُ الجليل الآياتِ بإضافتِها إلى ضمير التَّعظيم، "أي: على ما لها من العظمةِ"[1]، وفي ذلك إظهارٌ لشدَّة التَّكذيبِ، فهو وقعَ في الآيات التي تنتسبُ إلى اللّٰه تعالى، فتكونُ على غايةِ الوضوحِ والاستحقاقِ بأن يُستدلَّ بها على ما سيقَتْ له، ولا يُغفلُ عنها.

علَّةُ تأخيرِ خبرِ (إنَّ) وتقديمِ ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾:

الإفـصـاحُ عن شـدَّة الغفلة بكونِها مختصَّةً بالآياتِ العظام

في قوله عزَّ ذكرُه: ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ قدَّم النَّظمُ الكريم شِبه الجملةِ من الجارِّ والمجرور على خبرِ (إنَّ)، فلمْ يقلْ: (وإنَّ كثيرًا من النّاس لغافلون عن آياتِنا) على الأصلِ؛ للمبالغةِ بذمِّهم بجعلِ الغفلةِ مختصَّةً بالآياتِ المنسوبةِ إلى اللّٰه تعالى، وذلك غايةُ الذَّمِّ، كما أنَّ في التَّقديم تحقيقًا للتَّوافق في الفاصلةِ القرآنيَّةِ.

التَّعبيرُ عن الخبرِ باسمِ الفاعلِ المجموع:

رسـوخُ الغفلةِ، لا يجعلها تزولُ بواضحِ الآياتِ

في قوله عزَّ ذكرُه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ باسم الفاعلِ للدَّلالة على رسوخ الصِّفةِ فيهم وثباتِها، أي: ذلك الكثيرُ من النّاس متَّصفون بشدَّةِ الغفلةِ على وجهِ الثَّباتِ واللُّزومِ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/187.

بلاغةُ التَّذييلِ في الفاصلة آخر السّياق:

تقريرُ صدِّ النّاسِ عـن الآيـاتِ، كصدِّ فرعونَ عن الإيمان بالبيّنات

الجملةُ في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ اعتراضيَّةٌ للتَّذييلِ على التَّهكُّم بإنْجاء فرعونَ، فالنّاسُ مُعرِضون عن آيات الله تعالى "لا يتفكَّرون فيها، ولا يعْتبرون بها، وهو اعتراضٌ تذييليٌّ جيءَ به عند الحكايةِ تقريرًا لفحوى الكلامِ المَحكيِّ"[1]، فهو يقرِّر، ويبيِّن أنَّ الآياتِ كما لم تنفعْ فرعونَ؛ فإنَّ جعْلَ فرعونَ ذاتِه آيةً لن ينتفعَ بها إلّا مَن شاء الله تعالى.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

دلالاتُ البَدَن، والجسَد، والجِسْم:

الـبَـدَنُ جسْمٌ ضَـخْـمٌ، والـجِـسْـمُ يتميَّز بالحياة، والجسَدُ ما خلا من الرّوح

البَدَنُ: الجسَدُ عظيمُ الجثَّةِ، ومنه قيل: امرأة بادِنٌ وبَدينٌ: عظيمةُ البَدَنِ، وسُمّيت البُدنة بذلك لسَمنها، يُقال: بَدَنَ؛ إذا سَمُنَ[2]، والجسد: يَدُلُّ عَلَى تَجَمُّعِ الشَّيْءِ أيْضًا واشْتِدادِهِ، مِنْ ذَلِكَ جَسَدُ الإنْسانِ[3]. والجسم: يَدُلُّ عَلَى تَجَمُّعِ الشَّيْءِ، فالجِسْمُ كُلُّ شَخْصٍ مُدْرِكٍ[4]، وهو: جَماعَةُ البَدَنِ أو الأعضاء مِنَ النّاسِ والإبل والدَّوابِّ وغَيْرِهِمْ مِنَ الأنواع العَظيمَةِ الخَلْق[5]. ومجملُ ما قاله أئمَّةُ التَّفسير في البَدَنِ: إنَّه الجسمُ الضَّخمُ سواءٌ أكان فيه روحٌ، أم لا، والغالبُ أنَّه بلا روحٍ، وأمّا الجسدُ؛ فإنَّ أكثرَ المفسِّرين على أنَّه الذي لا روحَ فيه، وخلاصةُ الفروقِ بين المفردات الثَّلاث: أنَّ البَدَنَ يتميَّز بالضَّخامة، والجسدَ يتميَّز بالخلوِّ من الرّوح، والجِسمَ يتميَّز بالحياة والرّوح والجمال[6]. ويرى ابنُ عرفةَ أنَّ البدنَ يُطلقُ على ما كثُرت أجزاؤه، وطعنَ في السِّنِّ، وفرعونُ كان قد بلغَ الغايةَ في

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/174.
(2) الرّاغب، المفردات: (بدن).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جسد).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جسم).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (جسم).
(6) محمد داود، معجم الفروق الدّلاليّة في القرآن الكريم، ص: 117 - 118.

السِّنِّ، وأمّا الجسدُ؛ فيصدقُ على الصَّغيرِ النّاقصِ الأجزاءِ[1]. وفي الآية عبَّر عن فرعونَ بعد النَّجاةِ بكونِه بَدَنًا؛ لأنَّه بلا روحٍ، فكان الأنسبُ في التَّعبير، فضلًا عمّا يحتملُه من دلالاتِ العُري، وصورتِه الَّتي كان عليها، وغيرِها وهي احتمالاتٌ، ناسبَ لفظُ البَدَنِ التَّعبيرَ عنها دونَ غيرِه.

دلالاتُ النَّجاة، والإنقاذ، والسّلامة:

النَّجاةُ تكونُ من الأذى والمكروه، والإنقاذ من الورطةِ، والسَّلامَةُ من الآفاتِ

إنَّ التخلُّصَ يكون من تعقيدٍ، وإنْ لم يكنْ أذًى، وغرَقُ فرعونَ أذًى كبيرٌ، والنَّجاةُ لا تكونُ إلّا من أذًى، ومكروهٍ، ولا يُقال لمَن لا خوفَ عليه: نجا؛ لأنَّه لا يكونُ ناجيًا إلا مِمّا يخافُ، والإنقاذ: التَّخليصُ من ورْطَةٍ، فهو يتضمَّنُ معنى السَّلامةِ، قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: 103]. والسَّلامَةُ: تعْني التَّعرّيَ من الآفاتِ الظاهرةِ والباطنةِ، وفرعونُ لم يَسلم منها، ولم يُنْقَذْ بلْ وقعَ فيها، ولذلك عدَل عن لفظِ (سَلِمَ)، و(أُنقِذَ) إلى لفظِ (النجاة) المتضمِّن البدنَ فقط، وهي نجاةٌ ممّا كان يخافُه، وهو الغرقُ لكن ببدنِه[2].

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/373.

(2) العسكريّ، الفروق اللُّغويّة: ص: 210 - 211، والرّاغب، المفردات: (سلم)، و(نقذ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»